المحاضرة الثامنة
آل سعود

وصلت طلائع السعوديين إلى ساحل الخليج العربي في عهد الإمام محمد بن عبد العزيز بن محمد بن سعود في الربع الأخير من القرن الثامن عشر وبدئوا في الاستقرار هناك.

ومن الثابت أن اهتمام أل سعود بساحل الخليج العربي يرتبط بجهود الشيخ محمد بن عبد الوهاب قائد دعوة الإصلاح التي استقطبت الكثير من القبائل إلى جانب أل سعود , الأمر الذي غير موازين القوى في المنطقة لصالح أل سعود. وتذكر المصادر أن أهل الإحساء كانوا من أوائل المؤيدين للوهابيين وهم الذين بايعوا الأمير سعودا على السمع والطاعة.

وقد بدا اهتمام أل سعود بساحل الخليج العربي من سهول الإحساء حيث أن حكامها (بنو خالد) قد ناصبوا العداء للدولة السعودية فترة كبيرة , وقاموا بغزوها عدة مرات , وهو الأمر الذي حفز آل سعود لنشر الدعوة الإصلاحية في شرق الجزيرة العربية التي كانت تسودها مذاهب لا تتفق مع مع مبادئ الدعوة الوهابية.

وقد حظيت المنطقة الشرقية باهتمام أل سعود لثروتها الزراعية إضافة إلى أهميتها الإستراتيجية . وبالفعل انتصر أل سعود على قبيلة بني خالد وتوسع في الإحساء ثم القطيف وبذلك نجحت الدولة السعودية في الوصول إلى البحر.

وقد أثار توسع أل سعود , خاصة في المنطقة الشرقية , القوى الخارجية التي لها مصالح في الخليج. وأبرز تلك القوى شركة الهند الشرقية البريطانية والدولة الفارسية , خاصة وأن الدولة السعودية الفتية أصبحت ذات حدود مع بقية إمارات الخليج.

وقد شجعت نجاحات أل سعود السابقة ودفعتهم إلى التطلع إلى جبهات الخليج العربي فتمكنوا من الاستيلاء على قطر التي أصبحت جزءا من الدولة السعودية الأولى , ثم حاولوا بسط نفوذهم على الكويت , ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك في تلك المرحلة.

وكانت كل من الدولة الفارسية والدولة العثمانية تنظران إلى الدولة السعودية بعين الحسد على المكاسب الكبيرة والسريعة التي حققتها في المنطقة وهو الأمر الذي دفعهما معا إلى مساندة ودعم حاكم مسقط سلطان بن احمد البوسعيدى وتشجيعه على مناوئة آل سعود , وأغروه بتقديم المساعدة والدعم. وقد حاول حاكم مسقط الاتفاق مع أمير مكة ضد أل سعود , ولكن جاءت هذه المحاولة متأخرة حيث قد انتقلت السيادة إلى مكة الأمر الذي أدى في النهاية الى رضوخ حاكم مسقط إلى الدولة السعودية بعد الاتفاق على قيامه بدفع الجزية السنوية للدولة السعودية.

كما أحدثت انتصارات الدولة السعودية ردود فعل متباينة من قبل **القوى الاستعمارية :** فالفرس اهتموا باستيلاء السعوديين على الإحساء بسبب انتهاء حكم بنو خالد الذين كانوا مرتبطين بعلاقات حميمة مع الفرس ومذاهبهم الدينية. وقد ظلت الدولة الفارسية في دعمها للسلطان العماني في مواجهة آل سعود حتى تم القضاء على الدولة السعودية الأولى من قبل القائد الألباني محمد على , ليشكل ذلك شعورا بالطمأنينة لدى الحكومة الفارسية حيث رأت أنه في زوال دولة فتية, كادت أن تنجح في توحيد منطقة الخليج برمتها , مصلحة لها.

أما بريطانيا فقد انتهى التنافس بينها وبين فرنسا على عمان في صالحها من خلال الاتفاقيات التي عقدتها مع سلطان مسقط , والتي كانت في حقيقة الأمر موجهة ضد التوسعات السعودية في المنطقة.

ويجب الإشارة هنا إلى الصدام بين الانجليز والقواسم , الذين ازداد نشاطهم ونفوذهم في الخليج العربي والمعروف أن القواسم كانوا حلفاء لآل سعود. وحاولت بريطانيا أن تتعامل مع القواسم على أنهم مستقلين عن السعوديين , ولكن كما ذكرنا من قبل أن الانجليز كانوا دائما يضعون في حساباتهم أل سعود في تعاملهم مع القواسم خشية التورط في حرب في المنطقة.

والحقيقة أن أن بريطانيا كانت مدركة لقوة آل سعود في المنطقة , وفى نفس الوقت لم تكن ترغب في تنامي هذه القوة. أما الدولة العثمانية فقد كان وصول قوات سعود بن عبد العزيز إلى الإحساء بمثابة الصدمة لحاكم بغداد العثماني , وقد حدثت بين الطرفين العديد من الصدامات والمعارك انتهت بالصلح , ثم التوتر حتى سقوط الدولة السعودية الأولى .

- **الدولة السعودية الثانية**

بعد سقوط الدولة السعودية الأولى استطاع بنو خالد استعادة الإحساء وبسطوا نفوذهم عليها حتى اشتعلت الاشتباكات مرة أخرى بينهم وبين السعوديين حتى جاء الإمام تركي بن عبد الله الذي استطاع الانتصار على بني خالد وضم الإحساء مرة أخرى إلى الدولة السعودية الثانية , ثم بايعه أهل القطيف مجددين ولائهم له ثم وفد إليه زعماء القبائل في رأس الخيمة , وبدأت الدولة السعودية الثانية بمد نفوذها مرة أخرى على عمان والعديد من مناطق الخليج. وقد بذل الإمام فيصل بن تركي جهودا كبيرة للاتفاق مع العديد من حكام إمارات الخليج متخذا سياسة الحلول السلمية تارة والعسكرية تارة أخرى.

ولم تترك بريطانيا الدولة السعودية الثانية تزداد قوة ونفوذ في المنطقة فأخذت تعمل على التدخل في علاقة السعوديين بالحكام العرب في الخليج , فكانت تستغل الخلافات بين السعوديين وبعض القبائل لتدعم هذا الخلاف مثلما حدث مع حاكم البحرين بوقوفها إلى جانبه وتدعيمه ضد الدولة السعودية.

أما بالنسبة للدولة العثمانية فتشير بعض المصادر إلى أن الإمام فيصل بن تركي وافق على تبعيته للدولة العثمانية بشكل اسمي فقط. وبريطانيا كانت سياستها تجاه الإمام فيصل تسير وفق مصالحها في الخليج العربي.

فقد كانت سياسة بريطانيا تعارض بشدة أي دولة قوية تحاول مد نفوذها في الخليج وساحل عمان , وقد حدث ذلك مع الدولة السعودية نفسها حيث كانت تقف بريطانيا ضدها وعملت على الحيلولة دون استيلاء الإمام فيصل على مسقط وصحار ووقفت بجانب حاكم البحرين كما ذكرنا من قبل.

وقد توسعت الدولة السعودية الثانية وضمت واحة البريمى , وظل السعوديون الموحدون على براعتهم في استقطاب القبائل العربية في شمال عمان والساحل المتصالح , وحاولت بريطانيا تأليب القبائل العربية على آل سعود.

وقد استمرت سياسة الدولة السعودية في محاولة تحقيق التضامن مع القبائل العربية رغم عدم رضا بريطانيا عن هذه السياسة. وبرز التفوق السعودي بمد سيطرته على مسقط وشيخ البحرين والبونعيم والقواسم . وواجهت بريطانيا ذلك بعدم الاعتراف بأي سيادة سعودية على مشيخات الخليج العربي. وقد اتسمت الفترة بين 1853-1865م بتركيز الإمام فيصل لسياسته بتثبيت سلطاته في البريمى والإحساء ومناطق عديدة داخل عمان .

وقد خلف الإمام فيصل ابنه الأمير عبدا لله بن فيصل والذي تذكر المصادر انه كان يعتبر نفسه من رعايا الإمبراطورية العثمانية.

وعقد الأمير عبد الله بن فيصل سلسلة من الاتفاقيات مع الحكومة البريطانية شملت مسقط والبحرين والإمارات المتصالحة , وتركزت هذه الاتفاقات في معظمها على عدم إلحاق الأذى أو الضرر بالرعايا البريطانيين المقيمين في الأراضي الواقعة تحت سيطرة الأمير عبدا لله بن فيصل , وعدم مهاجمة القبائل المتحالفة مع الحكومة البريطانية.

وقد تدخلت بريطانيا أيضا لتشعل من الخلاف الداخلي بين الأمير عبدا لله بن فيصل وأخيه سعود بن فيصل حتى انقسمت نجد إلى قسمين مما أدى إلى تدخل القوى الاستعمارية وهي بريطانيا والدولة العثمانية .

- **الدولة السعودية الثالثة**

بذل الملك عبد العزيز آل سعود جهودا كبيرة في توحيد الجزيرة العربية ونقل مجتمعاتها البدوية والقبلية إلى نظام يتسم بالاستقرار والقوة تحت راية مركزية وطنية قوية على أجزاء الجزيرة وسواحل الخليج العربي. وكما ذكرنا من قبل فان بريطانيا لم تكن راضية عن نشوء الدولة السعودية التي نافستها في الخليج وبسطت سيطرتها عليه خلال المرحلة الأولى والثانية.

وفى عام 1901م قام الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل بتجديد الدولة وظل يواصل بسط نفوذ آل سعود في المنطقة , فقام المندوب البريطاني في البحرين بتحذيره من أي تدخل في شئون ساحل عمان.

والواقع أن سياسة عبدا لعزيز آل سعود كانت ترمي إلى إقامة علاقات ود وتفاهم مع البريطانيين من جانب , والسعي لطرد العثمانيين من الإحساء والقسيم من جانب أخر.

وقد امتدت سيطرة آل عبد العزيز آل سعود على جميع مناطق الربع الخالي حتى جنوب الرياض , ومن الشرق امتدت حدوده إلى الإحساء. وكان الأتراك يرغبون في إبقاء نجد بعيدة عن آل سعود , وقاموا أيضا بإشعال الفتن والعداءات الداخلية للسعوديين , ولكن استطاع الملك عبد العزيز تحقيق عدة انتصارات وتهدئة القبائل والسيطرة على ساحل الخليج العربي بأكمله من الكويت حتى البحرين.

وأمام هذا النجاح للدولة السعودية عقدت كل من انجلترا والدولة العثمانية اتفاق في 1913م تنسحب بموجبه تركيا من قطر في رسالة إلى الملك عبد العزيز بعدم التطلع إليها. وتشير المصادر إلى أن الملك عبد العزيز لم يهتم بهذا الاتفاق بسبب انشغاله مع العثمانيين الذين عقد معهم اتفاق عام 1914م بمقتضاه أعترف عبدا لعزيز آل سعود بالسيادة العثمانية على نجد والإحساء وبتعينه والى عثماني على نجد طيلة حياته على أن يرثه في الحكم أولاده.

وقد استمرت الخلافات بين العثمانيين وبين الانجليز بشأن الحدود الشرقية لنجد دون حل حتى بداية الحرب العالمية الأولى.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سياسة بريطانيا تجاه الأمير عبد العزيز آل سعود طوال فترة الحرب العالمية الأولى كانت تسير نحو تحقيق مصالحها بالدرجة الأولى في الخليج العربي , ولكن الأمير السعودي كان منتبها لذلك. فقد أدرك الأمير عبد العزيز أن السياسة البريطانية تهدف إلى تقسيم الجزيرة العربية فسارع إلى تشديد حصاره على حائل ليفوت الفرصة على بريطانيا , التي كانت ترى أنه إذا تمكن عبدا لعزيز من ضم حائل وتلك المناطق التي يسعى إليها فسوف يشكل هذا تهديدا مباشرا لمصالحها في الخليج العربي.

وأخذت بريطانيا على إثارة مشاكل الحدود للدولة السعودية فتم وضع منطقة محايدة بين الكويت ونجد. وتجدر الإشارة هنا إلى أن تخطيط الحدود السعودية الكويتية يعتبر نموذجا يحتذي به في منطقة الخليج , وقد ساعد على نجاحه العلاقات الأسرية القديمة بين آل سعود وال صباح التي اتسمت بالوئام والود.

ويجب الإشارة أيضا إلى اهتمام الملك عبد العزيز بواحة البريمى و وبعد قضائه الفترة 1902-1925م في تثبيت دعائم حكمه , فقد استغل استنجاد أهل البريمى بالأمير عبدا لله بن جلوى أمير الإحساء الذي بعث بقوة إلى البريمى حتى استطاع جمع الزكاة من البريمى حتى1929م.

وتجدر الإشارة إلى موقف بريطانيا والدولة العثمانية من خلال الاتفاقية التى تمت بين تركيا وبريطانيا فى 1913م, والتى كانت قد تعرضت لحدود نجد الجنوبية , حيث يمتد خط الحدود طبقا لذلك من جزيرة الردفونية جنوب العقير إلى الربع الخالى , ويفصل هذا الخط نجد عن شبه جزيرة قطر والإمارات (المتصالحة) وعجمان ومسقط , وكانت جميعها خاضعة للنفوذ البريطانى , غير أن المملكة العربية السعودية لم تعترف بهذه الاتفاقية فيما بعد مستندة إلى أن الاتفاقية نفسها لم تبرم حتى قيام الحرب العالمية الأولى والتى أصبحت فيها الدولة العثمانية خصما لبريطانيا.

وقد نظرت المملكة العربية السعودية أيضا إلى هذا النزاع باعتبارها صاحبة حق فى السيادة على المنطقة المتنازع عليها بحكم ولاء القبائل لها فضلا عن الحق التاريخى , وأن تاريخ الحكم السعودي فى عهده الأول و الثانى يشير إلى أنه كان حركة مضادة لحكم العثمانيين , وبالتالى فان السعودية المعاصرة ليست من ورثة الدولة العثمانية , وهى – أى السعودية – غير ملزمة بأى اتفاق تكون قد عقدته الدولة العثمانية مع أطراف أخرى على نحو ما سبقت الإشارة إليه سابقا.

وهكذا نجد أن القوى العربية في منطقة الخليج العربي كان لها دور كبير في مقاومة القوى الاستعمارية العاتية في المنطقة , كما تنوع أسلوب المقاومة من قوى عربية لأخرى ما بين الأسلوب السياسي والديني والعسكري. وقد ساهمت هذه القوى العربية بشكل كبير في مجرى الإحداث على المستوى المحلى والأقليمى وأيضا العالمي.